المجلد: 03
العدد: 01
الشهر والسنة: نوفمبر2026
ص ص: 63 - 98

البشرى
للبحوث والدراسات
مجلة علمية دولية سداسية محكّمة
El-Bushra for Research and Studies a half-yearly international peer-reviewed Scientific Journal
ISSN : 2992-1260-EISSN : 3088-8794

تأثير تناص الأعلام التراثية في شعر ابن سناء الملك في بناء الرمزية

The Impact of Heritage Proper Names' Intertextuality on Building Symbolism in the Poetry of Ibn Sana' al-Mulk

الصلت بن أحمد بن حمد الخصيبي، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عُمان.
s140076@student.squ.edu.om
خالد بن سليمان بن مهنا الكندي، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عُمان.
abuqasim@squ.edu.om

تاريخ الاستلام: 2026/05/28 تاريخ القبول:2026/07/16 تاريخ النشر: 2026/11/01

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة تناص الأعلام البشرية التراثية في ديوان ابن سناء الملك، واستكشاف أبعادها الرمزية وأثرها في المعنى الشعري. ويرتكز البحث على المنهج الأسلوبي التداولي في تحليل النص، خصوصا في استظهار دلالات الأعلام البشرية التراثية الرمزية. تنبع أهمية الدراسة من قلة الاهتمام بشعر ابن سناء الملك رغم جزيل أثره، ومن الحاجة إلى فهم العمق الثقافي الكامن في شعره. كما يطرح البحث استفهامات حول مدى وضوح هذه الأعلام التراثية وتوظيفها، لينتهي البحث إلى نتيجة: أنَّ الاعلام التراثية المتناولة لم تكن زينة ثقافية أو رموزًا غامضة، بل رموزًا واضحة ذات عمق دلالي واسع الأثر.

كلمات مفتاحية: ابن سناء الملك، التناص، الأعلام البشرية التراثية، الرمز، الشعر العربي.

Abstract:

This study aims to examine the intertextuality of human heritage proper names in the poetry collection of Ibn Sana' al-Mulk, exploring their symbolic dimensions and their impact on poetic meaning. The study adopts an analytical approach to the text, focusing particularly on revealing the symbolic connotations of heritage human proper names. The significance of this study stems from the limited attention given to Ibn Sana' al-Mulk's poetry despite its

considerable literary value, and from the need to understand the cultural depth embedded in his poetry. The study also addresses the extent to which these heritage names are clear and effectively employed, concluding that the invoked heritage figures were not merely cultural ornaments or obscure symbols, but rather clear symbols with profound semantic dimensions and significant influence on the construction of poetic meaning.

Keywords : Ibn Sana' al-Mulk, Intertextuality, Heritage Human Figures, Symbolism, Arabic Poetry.

مقدمة:

يسعى هذا البحث إلى دراسة تناص الأعلام البشرية التراثية في ديوان ابن سناء الملك، مع استظهار أثرها الرمزي في المعنى الشعري العام، ولكني لستُ أعمد إلى كل الأعلام التراثية في شعره، وإنما الأعلام التراثية البشرية الفردية، سواءً كانت تلك الأعلام أسماء صريحة أو ألقاب شهيرة، نائيًا عن تفريط التقيُّد، وإفراط التعدُّد، معرِّفًا أولًا بالأعلام البشرية التراثية المستخرجة، ثم مبيِّنًا رمزيتها العميقة في النص، معدًّا إحصائية راصدة للأعلام في أغراضها وحقولها وعصورها. وقد اعتمدت على ديوان ابن سناء الملك مطبوعًا ضمن سلسلة الذخائر، بتحقيق الأستاذ محمد إبراهيم نصر، ومراجعة الدكتور حسين محمد نصار.

ولا يتناول هذا البحث الأعلام التراثية إلا لبيان أثر تناصِّها في البناء الرمزي، ثمَّ في السياق الشعري العام، وذلك من خلال بابٍ واحدٍ مفترع فصولًا مُقسَّمة تقسيمًا زمنيًا، تتناول أعلام الأنبياء والأمم السابقة ثم أعلام العصر الجاهلي ثم صدر الإسلام ثم الأموي ثم العباسي، كما يدرس البحثُ منها ما شاع في الموروث العربي وإنْ لم يكن الموروث علَمًا لعربيّ مُتناوَلًا بالتعريف ثم برمزيته في النص.

أهمية البحث وأهدافه:

-رغم شهرة الشاعر في عصره ونفيس أثره إلا أنَّ الأبحاث السابرة جواهر شعره ما تزال قليلة، وكانت من اهتمامها الصور الفنية والموشحات وبعض فنون علم المعاني، فجاء هذا البحث معتنيًا بظاهرة أدقّ.

-تقصِّي استدعاءات الأعلام التراثية في شعره بعد ملاحظة كثرتها في ديوانه.

-تجلية أسرار التناص التراثي للأعلام في شعره مستصحبًا ذلك إلى أثره المعنويّ، لبيان أسراره الخفيَّة وحثِّ العقول على الركض في ميادين المنقول.

-معرفة الأعلام التراثية السيَّارة في ذلك العصر، مما يشي بمدى ثقافة شعرائهم، متخِّذًا ابن سناء الملك أنموذجًا.

منهجية البحث:

يعتمد البحث على المنهج الأسلوبي التداولي والمنهج الإحصائي.

الدراسات السابقة:

أجرى الباحث زياد محمد أسعد بحثًا سمَّاه "التلاحم النصي والتاريخي في شعر ابن سناء الملك مع النصوص الحماسية العباسية"،[1] ودرس الباحث شفيق محمد عبد الرحمن بحثًا بعنوان "التعالق النصي في ديوان ابن سناء الملك: دراسة في الاقتباس القرآني والاستدعاء الشعري"،[2] فلما كان بحثاهما تفاريق بين تخصيص التناص مع الشعر الحماسي العباسي، وبين استدعاءات معيَّنة ممكنٌ التزيُّد عليها نحوْتُ ببحثي هذا زائدًا مفصِّلًا، معتنيًا بظاهرة واحدة هي تناص الأعلام البشرية التراثية، بشرط الرمزية الخاصَّة، مُحلِّلًا دلالاتها وفق السياق الشعري حتى أنتهيَ إلى فائدتها الكبرى التي تتعدَّى -في أصلها- العبثية والتعالم الثقافي والبذخ الأدبي، كما تتعدَّى استرجاع التراث والمحافظة عليه إلى مبلغٍ عزيزٍ، وهو تشييد بناء المعنى.

التعريف بابن سناء الملك:

هو القاضي السعيد هبة الله ابن القاضي أبو الفضل الرشيد جعفر بن المعتمد سناء الملك، وُلد في القاهرة، قيل سنة 545هـ، وقيل، بل 550هـ[3] في أسرة عريقة النسب والحسب، ثرية مشهورة، مهتمة بطلب العلم فتأثَّر بذلك غاية التأثُّر، فتلقَّى الحديث الشريف عن أبي الفتوح ناصر الزيري، ودرس علم النحو من ابن برّي،[4] وكان والده وجده يعملان للفاطميين والأيوبيين في ديوان الإنشاء.[5]

صحب ابن سناء الملك القاضي الفاضل وزير صلاح الدين، والذي كان أعلم أدباء عصره فتعلَّم منه الكثير، وكان له القاضي كالأب العطوف، يتتبع شعره وينقده بعناية، ويشجِّعه لِمَا رأى فيه من نباهةٍ وقَّادة، وموهبة شعرية فذَّة، تربو على أهل مِصْره وعصْره، فمن قوله: "لله درّ تلك الأنفاس التي تستخف عقول الرجال، بل عقود الجبال. . ولقد أبقى

للآباء ذكرا، وللأبناء فخرا، وأرسلها مقلّدات، فأرهفها مجرّدات، وأثارها أوابد، فنظمها قلائد"،[6] وذلك من كتابٍ جمع فيه ابن سناء الملك مراسلاته مع والده والقاضي الفاضل خصوصًا اسمه "فصوص الفصول وعقود العقول"، وهي رسائل أدبية قيّمة، منها النقدية البلاغية، كما ألَّف ابن سناء الملك كُتُبًا عدة منها "دار الطراز في عمل الموشَّحات"، و"روح الحيوان".

كان ابن سناء الملك كوالده وجده رفيع الشأن، عمل في ديوان الإنشاء، كما عمل نائبًا عن القاضي الفاضل في مصر، وكان مقرَّبًا للملك صلاح الدين، فمدحه وأرَّخ فتوحاته البطولية، كما مدح بنيه بعده، وكان شعره كما يُوصف آية في العذوبة والدماثة، أرقَّ من السرَقَة، وألين من الورَقة، متنوّع الألوان من غزل ومدح وفخر وهجاء ورثاء ووصف، مولعًا بالابتكار الشعري، متأثِّرًا بالتفنن البديعي كأهل زمانه، ولكنه حافظ على نفَس الأوائل، واعتزَّ بتراثهم اعتزازًا واضحًا، فتجده يُكثر من التناص التراثي -كما سيأتي في البحث- مما جعل شعره مزيجًا نادرًا. توفي ابن سناء الملك في 608هـ.[7]

المبحث الأول: مصطلحات الدراسة:

أولًا: التناص:

(لغةً): التناص من نصَّ، والنص في المعجم الوسيط: "صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلِّف." وهو أيضًا: "ما لا يحتمل إلا معنىً واحدًا، أو لا يحتمل التأويل، ومنه قولهم: لا اجتهاد مع النصّ"،[8] والتناص على وزن تفاعل ليفيد المشاركة الكلامية.

ظهر مصطلح التناص متأخرًا، وذلك في خضمّ تناول ظواهر السرقات الشعرية والاقتباس والتضمين، والتي أعقبت جدلًا أدبيًا صاخبًا، وكان أول ظهوره لدى الأدب الغربي.

ظهر لفظ التناص أولًا لدى جوليا كريستيفا فعرَّفته (اصطلاحًا):" هو ذلك التقاطع داخل التعبير مأخوذ من نصوص أخرى."[9]

كما عرَّفه لوران جيني(اصطلاحًا): "التناص هو عملية تحويل وتمثيل عدة نصوص يقوم بها نص مركزي يحتفظ بزيادة المعنى."[10]

فالتناص كما يظهر قِطَع فسيفسائية متجمّعة تكوّن صورة أخيرة، أيَّ أن النصّ وليدُ نصوصٍ شتَّى، وهو ظاهرة طبيعية فما من شاعرٍ -أحسّ أم لم يحسّ- إلا اجتذب واجتلب

وليس ذلك بعائبه شيئًا، وإنما العيب في السرقة، ولطالما كان اللاحق متأثّرًا بالسابق، ولهذا قال زهير بن أبي سلمى:

ما أرانا نقول إلا مُعارًا

أو مُعادًا من لفظنا مكرورا

وقال أبو هلال العسكري: "وليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدمهم والصبِّ على قوالب من سبقهم"،[11] وأخيرًا فإن النصوص الأدبية كالإنسان، يحمل داخله شفرات آبائه الوراثية، وتحمل داخلها شفرات النصوص سابقة بأفكارها ونُظُمها وألفاظها، مُخليةً زاويةً خاصَّةً للتجديد والاختراع، وبما أنّ مفهوم تناص يحتمل الاستدعاءات السابقة، والتي كثيرًا ما تكون نصيَّة، فمن تلك الاستدعاءات الأعلام التراثية بدلالاتها الرمزية المعهودة.

ثانيًا: الأعلام التراثية:

العَلَم(لغةً): الاسم الذي يعيّن المُسمَّى كما هو، كقولنا: عُمَر، وزيد، وخالد.

أما التراث(لغةً): فهو من الفعل وَرِثَ وهو تخليف المال للورثة، قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾،[12] وقال: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾،[13] ومنه سُمِّيَ الميراث والورثة، كما سُمِّي بالوِرْثِ كلُّ شيء مُخلَّفٍ عمومًا، قال ابن سيده: "والورث والميراثُ: ما وُرِث"،[14] كان مجدًا أو مالًا أو أدبًا أو مسبَّة، كقول الفرزدق:[15]

وَلَم تَرِثِ الفَوارِسَ مِن نُمَيرٍ

وَلا كَعبًا وَرِثتَ وَلا كِلابا

وَلَكِن قَد وَرِثتَ بَني كُلَيبٍ

حَظائِرَها الخَبيثَةَ وَالزِرابا

نخلص إلى أنَّ الأعلام التراثية: الأسماء التي تُعيّنُ معارفَ موروثةً معيَّنة، تناقلتها الأجيال عبر التاريخ.

ثالثًا: الرمز:

الرمز(لغة): "تصويت خفيٌّ باللسان كالهمس، ويكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهومٍ باللفظ من غير إبانة بصوت إنما هو إشارة بالشفتين، وقيل الرمز: إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشفتين والفم"،[16] قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيٓ آيَةً ۚ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾.[17]

كثرت بعد ذلك التعاريف الاصطلاحية للرمز، ولكنها كانت تنصبُّ جميعًا في وعاء واحد، نستطيع وصْفَ معناه بالتصرُّف لغرض البحث:

الرمز التراثي: الإشارة اللفظية إلى المقصود المعنويِّ التراثي؛ لدلالية خاصَّة يمثِّلها.

وسيأتي بيان الرمز والأعلام التراثية والتناص في البحث، دارجًا على الفصول مُجيبًا على أسئلة البحث المتقدمة.

المطلب الأول: رمزية تناص أعلام الأنبياء والأمم السابقة:

قال ابن سناء الملك:[18]

وفي القلب نارٌ"للخليل" توقَّدت

وما ذُقت منها لا سلامًا ولا برْدا

والخليل هو لقب النبي إبراهيم في الموروث الديني، قال عز وجل:﴿واتَّخذ الله إبراهيم خليلًا﴾،[19] وقد دعا الخليل قومَه حتى لقيَ منهم عنتًا، وكان أن أضرموا عليه نارًا عظيمة، فأنقذه الله منها، كما اشتهرت قصّة خضوعه لأمر الله، وشروعه بذبح ابنه، لولا أن فداه الله بكبشٍ عظيم.

وعَلِق الخليل عليه السلام برمزية من لقيَ مِنْ حرارة النار بردًا، ومن ألسنة لهبها سلامًا، فجاء ابن سناء الملك ليمثِّل ما يلقى من لواعج الحبِّ ونيرانه في نار الخليل، إلَّا أنه خلاف الخليل لم يجد ذلك البرد والسلام بعد، وذلك أدعى إلى الشفقة وأجذب للمواساة، فانظر كيف عضَّد المعنى، ولولا هذا التناص التراثي "الخليل" لما كان له ذلك، ولو قال: "في قلبي نار عظيمة" أو " في قلبي نارٌ مضطرمة"، لم يبلغ المعنى في نفسك من الهوْل ما بلغه بالتناص التراثي، فهو ليس رمزًا عابرًا، ولكنه تراسل ثقافي لقصَّة تتراءى في خيالك مفعمة بالمشاعر الخاصة.

وكتب إلى القاضي الفاضل:[20]

أبي "كإبراهيم" في نُسكه

وبشَّروه بغلامٍ حليمْ

وهو أنا فافهم ولا بدَّ أن

أُفدى وحاشاك بكبشٍ عظيمْ

جعل ابن سناء الملك القاضي الفاضل والدَه توقيرًا، ولكنه ليس أي والدٍ وإنما والد ناسك خاشع واستعان على هذا المعنى برمزية العلم التراثي إبراهيم عليه السلام، ولكنه لم يغفل عن رمزية تضحيته بولده، فاستدرك ذلك بأنه سيفدى، ولكن بغير الكبش العظيم- وهذا تورُّط جارف منه-، وفي قوله هذا دلالةٌ على خبيئة يريدها من القاضي الفاضل.

وأنشد يمدح الملك العادل:[21]

بقيتَ حتى تقول الناس قاطبةً

هذا "أبو إلياس" أو هذا "أخو الخِضَرِ"

وإلياس نبي من أنبياء الله، وأما الخضر فاختلفت في نُبَوَّته الطوائف، اشتهرا بالعمر الطويل، قال مكحول عن كعب: "أربعة أنبياء أحياء، اثنان في الأرض إلياس والخضر، واثنان في السماء: إدريس وعيسى عليهم السلام".[22]

أراد ابن سناء الملك أن يصف تعجُّبَ الناس من نِعَم ممدوحه، ودوام فضله، وبقاء ذكره فأتى بتناص علمين تراثيين دينيين: إلياس والخضر، اللذين يرمزان إلى العمر المتطاول، كما خصَّ الممدوح أبًا لإلياس، وأخًا للخضر عليهما السلام؛ لمعهود العرب في النسبة، إذْ يجعلون الشيءَ ثانيَ الآخر إن شابهه جدًا، واختصُّوا الأبوة والبنوة لقربهما عادةً من المرء، كقول المتنبي:[23]

أخا الحرب قد أتعبتها فالهُ ساعةً

لِيُغمدَ نصلٌ أو يُحلَّ حزامُ

أنشد عندما فارق الملك الأفضل أرض مصر:[24]

كان فيها "كآدمٍ" حين ما أُهـ

ـبط من جنَّةٍ إليها صُعودُهْ

راح منها حتى يعود كما كا

ن وحتى يكون فيها خلودُه

والعلم التراثي المُستدعى أبو البَشَر وأول الأنبياء آدم عليه السلام، الذي سكن الجنة حتى وسوس إليه الشيطان وإلى زوجه فأُهبط إلى الأرض. ورمزيته في النص تتجلى في أنه لمَّا فارق الممدوح مصر مثَّله ابن سناء الملك بالنبي آدم الرامز إلى الخروج من النعيم، بجامع الشرف المكاني في كل منهما، كما مثَّل ضمنيًا جمالَ مصر وشرَفها بالجنة، ومن خلف هذا التناص ثمة ومضة ذكية أومأ إليها ابن سناء الملك، إذْ كان النبي آدم فانيًا أنزلته شجرةُ الخلد، ففارق الجنة عقابًا، ثم سيعود إليها بالخلود ثوابا، فتأمل تضادَّ الحال بين الأول والآخر، ثم تأمَّل سقوط هذه الدلالة على الممدوح لتستشعر جمال المعنى، وبُعد غوره، فهو يشير إلى أن الممدوح-لا ريب- عائدٌ لمصر بمُلكٍ أشدّ وأعزّ، ولم يكن ليتأتَّى هذا المعنى الشريف دون هذا التناص التراثي في هذا السياق الذكيّ المتناسي لإبليس تطيُّرًا.

وقال يرثي أمه:[25]

كنتُ في جنَّةٍ فأُخرِجْتُ منها
واستعاد العطاءَ ربُّ العطاءِ
أَتُراني أطعْتُ إبليسَ في الأكـ
ـلة مع "آدمٍ" ومعْ "حوَّاءِ"

يبدو أن الشاعر في مصيبة جلل دهياء، تتلاطم في صدره أمواج التأسُّف والتحسُّف، باكيًا على أُمِّه بل على جنته المطمئنة، تلك الجنة التي يأوي إلى أمانها، ولا غرو فالجنات تحت أقدام الأمهات، ثمَّ لما تأمَّل مفارقتها راجع نفسه في سبب فراقها مستعينًا برمزية آدم وحواء ووسوسته لهما، للدلالة على مَن كان مُكتَنَفًا بالنعمة ثم اعتاض عنها دونها مُنخدِعًا، فانظرْ إلى ما أودعه التناص التراثي من مرارة ثكل، وشديد اجترام.

وقال يمدح عليَّ بن صلاح الدين:[26]

ما عليٌّ إلا "سليمانُه" الأعْـ
ـظم مُلْكًا ويوسفٌ "داودُهْ"

يُعدُّ داود وسليمان علمين شهيرين في الموروث الديني بالنبوة والملك، وداود هو أبو سليمان عليهما السلام. ويرمز النبي سليمان إلى المَلِك الذي أوتي ملكًا لم يؤته أحد من بعده، والنبي داود إلى المِلك أيضًا، وهكذا مثَّل ابنُ سناء الملك عليًّا في النبي سليمان، وأتبعه والده،

فمثَّله في النبي داود، إمعانًا في الفخر فهو ملك ابن ملك، فكان التناص التراثي متناسقًا، إذْ وافق الممدوح ابنَ ملكٍ، كما وافق سليمان ابن ملكٍ، والنبي سليمان أشهر مُلكًا في التراث، وأبعد صيتًا، فهكذا أراد ابن سناء الملك تفاؤلًا بالممدوح، واحتراسًا من الغضِّ بمكانته لمكانة أبيه قبله.

ولما فتح صلاح الدين عسقلان كتب يهنّئ القاضي الفاضل:[27]

كَفَرَ الشآمُ وعسقلانٌ مؤمنٌ
حاشاه وهو عَرِينُه أن يكفرا
ولكان "مؤمن آل فرعون" بهم
إذ كان يُضمر ضدّ ما قدْ أظهرا

تحيل الأبيات على الرجل الذي جاء فيه قول تعالى: ﴿وقَالَ رجلٌ مُؤمِنٌ مِنْ آلَ فِرْعَونَ يكتُمُ إيمانَه﴾.[28] والمراد أن عسقلان لما صلحت شؤونها وناسُها، كانت كالمؤمن الصالح، خلاف بعض الشآم الذي كان كالكافر، ثمَّ رمز إلى عسقلان بمؤمن آل فرعون الكاتم إيمانه خوفًا من فرعون وملئه، حتى غدا رمزًا لكل مؤمن كتَم معتقدَه خوفًا، وخصَّ عسقلان بهذه الصفة؛ لأنها كما قال محمد إبراهيم نصر:" لأن عسقلان كانت محصورة بحصن الفرنج كما كان مؤمن آل فرعون محصورًا من الكفَّار يُضمر إيمانه خوفًا"،[29] وبرمزية هذا التناص التراثي، أضفى ابن سناء الملك في وصف عسقلان روحًا من المعنى خفيًّا لطيفًا جدًا، لا يشذُّ عن الأذهان، ولا يندُّ على الآذان، بجامع معلوم.

لمَّا عوفي صلاح الدين، أرسل إليه:[30]

جاء البشير بيوسفٍ يمشي على
أثر البشير "بيوسفٍ" أو يقتفي
ما زالت البُشْرى "ليوسف" سنَّةً
في الدهر لم تُخلف ولمْ تتخلَّفِ

فالعلم التراثي المُشار إليه هنا هو نبي الله يوسف بن يعقوب عليهما السلام، الذي فارق والدَه صغيرًا، ثم بعد سنين الاشتياق ابيضَّت عينا والده حتى جاء البشير يزفُّ إلى والده البشرى، فرجع البصر، وحنَّ الدم إلى الدمَّ، وتعانق المشتاقان، وكان النبي يوسف عليه السلام آية في البهاء والجمال رمزًا لذلك، نُسب إلى يزيد بن معاوية قولُه:[31]

لها حُكْمُ لقمانٍ وصورةُ يوسفٍ

ونغمةُ داودٍ وعفَّةُ مريمِ

كما سُجن يوسف عليه السلام قبلها بضع سنين، ثم خرج فوليَ وزارةَ مصر فصلحت وعمرت في عهده. ورمزية هذا في النص أن صلاح الدين كان مريضًا فلمَّا عوفي، أرسل إليه ابن سناء الملك يهنئه بذلك، مستعينًا في هذا السياق بالنبي يوسف رمزًا للعافية بعد المرض، والبشرى بعد الانقطاع، ومن لطيف الموافقات أن كان اسم صلاح الدين يوسف أيضًا، فأفاد التناص هنا وموافقة الأسماء صدق المعنى، حتى لكأنَّ البشرى سنَّة لكلِّ يوسفٍ أبد الدهر، ولو أنَّه قال: "ما زالت البشرى بشفاء الملوك سنة" أو "وما زال شفاء الأشراف عهدًا في الدهر" لَمَا بلغ المعنى معشارَ ما بلغه.

وقوله فيه أيضا عند فراقه مصر:32

غدت مثل "يعقوب النبيِّ" وقد نأى

سميُّك عنه تشتكي البثَّ والحُزْنا

لما فارق صلاحُ الدين مصر حنَّت وأنَّت حتى تحوَّلت سهولها وتلولها من النضارة والغضارة إلى الحزن والبثّ، وكذلك كان أهلها، وقد تذكر العربُ المحلَّ لتشمل الحالَّ، فكانت كيعقوب عليه السلام، ذلك الشيخ الجليل الذي أضناه الشوق، وطواه الحزن، ومما زاد وجاهةَ هذا المعنى ما جاء به من توافق اسم يوسف.

وقال فيه:[33]

أعدت إلى مصرٍ سياسةَ "يُوسفٍ"

وجدَّدت فيها من سميّك موْسِما

وأحييت فيها الدين بعد مماتِه

فأنت "ابن يعقوب" و أنت "ابن مريما"

يحضر في هذه الأبيات النبي يوسف عليه السلام أيضا، وابن مريم النبي عيسى عليه السلام، الذي آتاه الله معجزة إحياء الموتى، وشفاء الأكمه والأبرص. والمقصود من هذا التوظيف هو أن صلاح الدين أصلح مصر، وساسها سياسة المحنَّك اللبيب، ومن هنا استعار ابن سناء الملك اسم يوسف عليه السلام، مستحضرًا رمزه التراثي في خزائن مصر، ولمَّا كانت مصر متشعِّبة المذاهب والأهواء، إثْر صراع الشيعة والسنَّة جاء صلاح الدين

فوحَّدها، فكأنها في عهد يوسف حقيقةً لا مجازًا، ثمَّ لمَّا كان الإسلام عمومًا نهْب الإفرنج وخونة المسلمين حتى غدا جثَّة هامدة، جاء صلاح الدين فأحياه كما يحيي عيسى ابن مريم الموتى، فبذلك جمع صلاح صفة عيسى ويوسف عليهما السلام من إحياء وحُسن سياسة، وهذه الرمزية أضفت -بلا ريب- قوَّة ومتانة.

ويصف مرَّة امرأة عمياء:[34]

رأيتُ منها الخُلْد في جؤذرٍ

وناظريْ "يعقوبَ" في "يوسفِ"

رمز الشاعر إلى ناظر المرأة العمياء بيعقوب، وإلى جمالها الفائق بيوسف عليهما السلام، وهذا التأليف كما مرَّ بين علمين تراثيين أولًا، ثم موافقة القرابة بينهما نسبًا وقصَّة، ثم التباعد في رمزية كلِّ واحد منهما، وجعلهما في موصوفٍ واحدٍ سبيلٌ عزيز إلى الإبداع، ولو قال: "عمياء جميلة" لوجدت سذاجة وبرودًا.

وفي قوله:[35]

يا مُخجِلًا "يوسفَ" في حُسنه

قلْ لي أما تخجل مِنْ "يوسف"

وعمد إلى معيارٍ خاصٍّ متَّفقٍ عليه في الجمال -يوسف- ثم أسقط جمال الحسناء عليه ليخلص إلى أنها أجمل، وهذا أدعى إلى تعظيم السامع، ثم إنَّ ابن سناء الملك استدرك مكانةَ النبي يوسف فالتفت إلى الحسناء مستفهمًا متعجِّبا كيف لم تخجل من النبي يوسف رغم حُسنه، وهذا مخرج ظريف. وقوله بالرمز ذاته في مليحٍ هرب من السجن:[36]

وقالوا له شاركت في الحُسن "يوسفًا"

فشاركْه أيضًا في الدخول إلى السجن

وقال في الطبيب أبي عمران القرطبي:[37]

أرى طبَّ "جالينوس" للجسم وحده

وطبُّ أبي عمران للعقل والجسْمِ

يستحضر الشاعر هنا "جالينوس" الذي ولد في برجامون، معاصرًا فترة الانطونينيين، وكان عالمًا متوسِّعًا اشتهر بالفلسفة والطب، وله إنجازات طبية شهيرة[38] أصبح

بها رمزًا للطبيب الحاذق البارع، واستعار رمزيته ابن سناء الملك ليبين مهارة أبي عمران الطبية وتفوّقه بعلاج أدواء العقول والجسوم معًا، حاصرًا طبَّ الأطباء على الجسم وحده.

وفي القاضي الفاضل قال:[39]

و أبرأ الحال النحيـ

ـف بالندى الجسيمِ

فجاءنا "المسيحُ" منـ

ـه بيد "الكليمِ"

ويتكرر حضور النبي عيسى ابن مريم إلى جانب الكليم النبي موسى عليهما السلام، الذي كلَّمه الله تكليما، ويظهر أن ابن سناء الملك وسم القاضي بسمتين في البيت الأول وهما الإبراء والندى، ثم مثَّل الإبراء في البيت الثاني بالمسيح، كما مثَّل الندى بيد موسى البيضاء، مشيرًا إلى قوله عز وجل: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾،[40] خلا أن يده عليه السلام لم تأتِ بيضاء للندى، فجاء ابن سناء الملك مُعمِّيًا موهمًا بذلك، محتجًّا بتعدد دلالة البياض عند العرب، وهذا مرمى بعيد.

وكتب إلى مريض:[41]

عسى الله يرحم تلك العجوز

ويُهدي لموسى مداواةَ "عيسى"

يدعو هنا ابنُ سناء الملك لمريضٍ ما، يرجح عندي أنَّ اسمه موسى، والعجوز والدته، رامزًا إلى الشفاء بعيسى عليه السلام، ولو قال: "شفاك الله يا موسى" لَمَا جاء ببديع، وكان أولى بالنثر من الشعر.

وقال مودِّعًا مضيفه:[42]

سأعدم صبري حين آتي مودِّعًا

وأغدو "كموسى" حين لم يستطع صبْرا

استعان ابن سناء الملك هنا برمز موسى عليه السلام في قصَّته مع الرجل الصالح، وذلك أنه لم يطق صبرًا فكذلك هو أيضًا عند الوداع.

المبحث الثاني: رمزية تناص الأعلام العربية الجاهلية:

قال مُشبِّبًا:[43]

خليليَّ مرَّا بي عليها ونكِّبا
سواها فقلبي عن سواها مُنكَّبُ
و إياكما أن تقربا "أمَّ جُندب"
فما هي إلا في القماءة جُندبُ

العلم التراثي الماثل في الأبيات هو أم جندب الطائية زوج امرئ القيس الكندي قدَّمت شعر علقمة بن العبد، فطلَّقها امرؤ القيس وخلَفه عليها علقمة، قال فيها امرؤ القيس:

خليليَّ مرَّا بي على أم جُندب
نقضِّ لُباناتِ الفؤاد المعذَّبِ

ورمزية ذلك أن الشاعر يشبِّبُ بمحبوبته معارضًا امرأ القيس، زاريًا برمزية "أم جندب" الدالَّة على الحُسن ورجاحة العقل -لما كان من غزل امرئ القيس وتحكيمها بين امرئ القيس وعلقمة-، حتى يجمِّل من شأن محبوبته، فهي أولى بالمرور عليها من المرور على أم جندب التي استعان عليها بكنيتها جُنْدُب أي جرادة في القِصَر،[44] وهو هنا قِصَر الحُسن، وقد تعمَّد إيراد فعل "مُرَّا" لإحضار تراث أم جندب.

وقال متشوِّقًا إلى الوزير الصاحب:[45]

وصرتُ مدفونًا فما مسكني
في مصرَ لكن مسكني في الصَّعيدْ
لو لم أكن أشعرها لم أُطِقْ
نظمًا لبيتٍ ولو أني "لبيدْ"(انظر الملحق رقم:1)

العلم التراثي المقصود هو أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامري، الذي كان شاعرًا مفلقا، قيل إنه بلغ من العمر مئة وأربعين سنة،[46] كان لبيد مضربَ المثل التراثي في جودة الشعر وعلوِّه، قال الإمام الشافعي:[47]

ولولا الشعر بالعلماء يزري
لكنت اليوم أشعر من لبيد

أحسَّ ابن سناء الملك بالغربة الشديدة بعد فراق الوزير حتى لكأنه صار ألكن في مصر وهو أشعرها، لا يستطيع التصرَّف ببيت واحدٍ ولو أوتي بالغَ القريحة، ورمز إلى ذلك بلبيد، فعظم المعنى الذي ساقه لعظم الرمز الذي انتهى إليه.

وأنشد:[48]

يا من سبى في الحُسن "عبلةَ" عبدةً

رِفقًا عليَّ فليس قلبي "عنترا"

ضمّن الشاعر أبياته كلا من عنترة بن شداد العبسي وابنة عمه عبلة بنت مالك، فعنترة كان فارسًا شجاعًا ذاع حبُّه لها كما ذاعت فروسيته. ويصف المحبوب أنه في منتهى الجمال والقدرة حتى صيَّر عبلة عبدةً له، ولذلك يستعطفه ويترجَّاه أن يتلطَّف به وبقلبه الضعيف الذي لا يقوى على الحبِّ قوَّةَ عنترة عليه، وعبلة هنا رمز للحُسن، أما عنترة فهو رمز للمُحبِّ الصبور.

وكذلك قوله:[49]

من رآها تسطو عليَّ وتعطو

قد رأى "عنترًا" و أبصر "عبْله"

وقوله:[50]

سائلْه فالأعطافُ منه "عبلةٌ"

لكنه في الحرب يحكي "عنترا"

جعل المحبوبة في الحسن كعبلة، فإذا خالقها أرتْه صدودًا وقسوةً كقسوة عنترة، وهذا معنى لطيف، إذْ جمع في المحبوبة رمزين متضادين بكل سلاسة وإيجاز، وذلك عن طريق هذا التناص التراثي الشهير الذي يقذف في خيالات المستمع إرهاصات ومشاعر ممتزجة ببطولة عنترة وغزله بعبلة.

وقال أيضًا:[51]

ولقد لهوتُ كما أرد

ت "بعبلةٍ وبعنترِ"

رمز إلى الرجل بعنترة، وإلى المرأة بعبلةٍ، ولست أرى تناص عنترة هنا ذا رمزية مستحسنة، خلاف الأمثلة السابقة؛ لأنَّه أتى به واصفًا لهوه بعد الشرب، وكان لهوهم آنذاك

بالغلمة اللطاف، أما عنترة فعلَم تراثي محمَّل بغلظةِ الفحولة بدل الرقة، والفظاعة الحربية بدل الوسامة، فهبط بالمعنى من سمائه، لتعارض حمولة التناص مع حمولة السياق، إلا إن كان يعني-وما أحسبه- أنه لهى برجلٍ غليظ كعنترة أو محبِّ ومحبوبته كعنترة وعبلة.

وقال في فصاحة القاضي الفاضل:[52]

وكنتُ أحسب "قسًّا" في فصاحته

فرْدًا فأبصرتُ "قسًّا" عنده فافا

و"**قُسّ**" في البيتين هو قسُّ بن ساعدة بن عمرو الإيادي، كان من أساقفة نجران، قيل إنه أول من قال: "أما بعد"، وأول من جعل السيف أو العصا مُتَّكئ الخطيب،[53] كان خطيبًا مصقعًا، لا يتلجلج ولا يتنحنح، شهد النبي ﷺ خطبته في عكاظ قبل البعثة، وسارت ببلاغته الأمثال، فقالت العرب: أبلغ من قُسّ، وقال الأعشى:[54]

وَ أَبْلَغُ من قُسٍّ وأَجْرَى مِنَ الذي

بِذِي الغيل مِنْ خفَّانَ أَصْبَحَ خَادِرَا

بهرت فصاحة القاضي الفاضل لبَّ ابن سناء الملك، وكان قبل ذلك يعلم قسًّا فردًا لا ندَّ له ولا شبيه، حتى رآه جاثيًا أمام القاضي يُفأفئ ويتأتئ، وهذا مدح ضخم عظيم، وقسّ هنا رمزٌ لمنتهى الفصاحة.

قال في صلاح الدين:[55]

ولو رآى ابن أبي سلمى مواهبَه (انظر الملحق رقم:2)

رأى جدا "هرِمٍ" مثل اسمه هرِمَا

المراد هنا هرم بن سنان بن أبي حارثة المري، ضُرب به المثل في جود، فقيل: "أجود مِنْ هرِم"،[56] وكان زهير يجلُّه غاية الإجلال. لما كان هرم رمزًا للجود البالغ، استعان به ابن سناء الملك لمقارنته بجود صلاح الدين، فما كان إلا أن بزَّه صلاح الدين كرَمًا حتى أرى ابنَ أبي سلمى عطاء هرِمٍ كاسمه هرما أي باليًا على سبيل الاستعارة.

كما أنشد:[57]

تجود جفونيَ بالماء فيك

كأنَّ جفونيَ كفُّ "ابن مامَهْ"

يحضر كعب بن مامة الإيادي، الذي سافر ذات يومٍ فاشتدَّ به ومن معه الظمأ وبَعُد الورد، فظلَّ يؤثر رفيقَه بالماء، حتى مات عطشًا، فصارت العرب تضرب بجوده الأمثال، قال أبو دؤاد الإيادي:[58]

أوفى على الماء كعبٌ ثم قيل له

رِدْ كعبُ إنَّك وزَّادٌ فما وَرَدا

يصف ابنُ سناء الملك ضنى الولَه والحبِّ، مما أصاره إلى سفح الدموع الغِزار، حتى كأنَّ جفونه في غزارتها نوال ابن مامة، فابن مامة رمز للجود المُهلك، ولو استعان ابن سناء الملك بعلَمٍ غيره يرمز إلى الجود أيضًا كحاتم الطائي، لما أحسن إحسانه في هذا المقام؛ لِما يستصحب ابن مامة من حمولة دلاليةٍ موجعة تنتهي إلى الهلاك الحقيقي.

كتب على صدر منظرة جميلة فقال:[59]

يُرى الضيف فيها وهو ضيفٌ "لحاتمٍ"

كما الجار فيها وهو جار "السموألِ"

ونقف في البيت على حاتم بن عبد الله الطائي، الذي كان جوادًا، شاعرًا، وضُرب به المثل في الجود، تُوفِّي في السنة الثامنة بعد المولد الشريف،[60] والسموأل بن غريض بن عادياء، أحد حكماء اليهود وشعرائهم في المدينة، له قصة شهيرة في الوفاء مع امرئ القيس الكندي.[61]

وصف الشاعر مكان استقبال الضيوف بأنه مكان كريم عزيز، كلُّ ضيف يفد إليه فقد وفد إلى منبع الكرم، رامزًا إلى ذلك بحاتم، كما رمز إلى عزّة المستجير به وأمانه بالسموأل.

المبحث الثالث: رمزية تناص أعلام صدر الإسلام:

قال مُشبِّبًا:[62]

و إني لطمَّاح المطامع نحوها

وما كل طمَّاحِ المطامع "أشعب"

ويستدعي الشاعر أشعب بن جبير من مولي عبد الله بن الزبير، الذي ضُرب به المثل في الطمع حتى عُرف بالطامع.[63] ولا يفتأ ابن سناء الملك طامعًا بكل جميل من حبيبته، ولكن طمعه هذا طمعٌ مُستساغ، ليس بالعجيب المبالغ الذي رمز إليه بأشعب، مستحضرًا ضمنيًا حكايات طمعه البالغ.

وقال:[64]

فخذوا الحديثَ عن المدا

مع فهي تروى عن "قتاده"

و"قتادة" هنا هو قتادة السدوسي، كان محدِّثًا تابعيًا كثير الرواية عن الصحابي أنس بن مالك. استعان الشاعر بقتادة رمزًا دالًّا على الصدق والأمانة، ثم أسند دموعه راويةً عنه، ليبرهن على صدقها وصدق حزنه، والرواية هنا محل تورية بين رواية الحديث ورواية الماء، وأمثال هذا التناص من أعلام عِلْم الحديث قليل في الشعر، بليغ في الأثر.

ومدح الملك الأفضل:[65]

مَلِكٌ اسمه عليٌّ ولكن (انظر الملحق رقم:3)

كيدُه في حروبه كيدُ "عمرو"

يريد الشاعر الصحابي عمرو بن العاص بن وائل السهمي، اشتُهر بالدهاء وسعة الحيلة، فسُمِّيَ بـ "أرطبون العرب"، قال عنه عمر بن الخطاب:[66] (وَاللَّهِ إِنَّ حَرْبَهُ لَلَبِّيَنَةٌ مَا لَهَا سَطْوَةٌ وَلَا سَوْرَةٌ كَسَوْرَاتِ الْحُرُوبِ مِنْ غَيْرِهِ).

يقرُّ ابن سناء الملك باسم الملك الأفضل عليّ، إلا إنَّه غير عليّ في حروبه، بل عمرو، وعمرو هنا رمزٌ للدهاء وسعة الحيلة، ولم يفت ابن سناء الملك أنَّ الحرب تُدار بالفطنة والخداع، وذلك لا يعيب الممدوح شيئًا، بل يزيده قوَّة إلى قوَّته.

وقال للقاضي الفاضل:[67]

وصرتُ عُريان أرى

غيري لثوبي لابسْ

نهي في "عيينة

والأقرع بن حابسْ"

يرجع بنا هذا النص إلى غنائم حنين حين أعطى النبي ﷺ المؤلفةَ قلوبهم مئة إبل، ومنهم عيينة بن حصن والأقرع بن حابس، ثم أعطى ﷺ العباس بن مرداس دون ذلك، فقال العباس:[68]

أتجعل نهي ونهب العبيـ

ـد بين عيينة والأقرع

وما كان حصن ولا حابس

يفوقان مرداس في المجمع

فزاده النبي ﷺ.

ورمزية هذا في النص إحساس الشاعر أنه محرومٌ تناهب رزقَه من دونه، وهو يراهم لا يستطيع ردًّا ولا صرفا، وهذا غاية الكمد، ثم يستعير ابن سناء الملك رمز عيينة والأقرع الدالَّ على حرمان النفس، حين يُعطى الآخرون، ولو أنَّ ابن سناء الملك، اكتفى بالبيت الأول الدالِّ على حرمانه لكفاه، ولكن انظر كيف طعَّم المعنى ومدَّده، طارقًا ذاكرةَ القاضي الفاضل بأبيات العباس بن مرداس واستجابة النبي له، فكذلك يطمع ابن سناء الملك باستجابته.

وقال مُشبِّبا:[69]

وصفتك واللاحي يعاند في العذْل

فكنتُ "أبا ذرٍّ" وكان "أبا جهْلِ"

وقوله:[70]

وهبْكَ "أبا ذرّ"هذا الكلام

فهبني "أبا جهل" هذا الصَّنَمْ

تشير الأبيات إلى الصحابي أبي ذر جندب الغفاري، الذي كان ناسكًا زاهدًا ناصحًا عاش وحيدًا، ومات وحيدًا، أما أبو جهل فهو عمرو بن هشام المخزومي اشتهرت عداوته لرسالة الإسلام وغلوّه، فكان فرعون الأمة.

ففي المقام الأول: يغرم بمحبوبه ويدمن ذكره ووصفه حتى عذله العاذل، واتهمه بالضلال، وذلك أنَّ العاذل جهل محاسن المحبوب فكان أبا جهل، وهو رمز للجهالة والغلوّ، أما ابن سناء فقد وصف نفسه أنه أبو ذر دلالة على الهداية والرشاد في الهيام بالمحبوب.

أما في المقام الثاني: لما استيأس وتعب من عاذله افترض جدلًا أنه أبو جهلٍ في عشقه وهيامه، وصنمه المحبوب، متنازلًا للعاذل كونه هو أبو ذرٍّ المهتدي في نصحه، وذلك كي يتركه العاذل وشأنه دون إلحاح، وهذا الأسلوب الجدلي بالنزول عن الصواب والإذعان بالهزيمة

جارٍ حتى اليوم على ألسنتنا، ولا تخفى الحمولات التراثية المنسلَّة بخفة لتناص أبي ذر وأبي جهل.

قال في الملك الأفضل:[71]

هذا عليٌّ "كعليٍّ" في الوغى

هذا الأمير "كأمير النَّحْلِ"

ويستحضر الصحابي علي بن أبي طالب ابن عم النبي ﷺ، وعن أبي ذرَّ أنَّه ﷺ سمَّاه بـ"يعسوب المؤمنين"،[72] أي سيد المسلمين وأميرهم، واليعسوب هو أمير النحل.[73]

شبَّه ابن سناء الملك المَلِكَ الأفضل بعلي بن أبي طالب في الوغى، الرامز إلى الشجاعة والبطولة، ومن اللطيف أنْ جاء التشبيه مطابقًا للاسمين، وكأنَّ المتوقَّع أن يكون كلُّ مسمًّى مماثلًا كلَّ مسمى مثله في الاسم، فعليٌّ يشبه عليّ بن أبي طالب، ثم نحا إلى مدح الملك الفاضل كونه أميرًا فشبهه مرة أخرى بأمير النحل، وهذه إشارة حَذِقَةٌ إلى حديث النبي ﷺ في عليّ بن أبي طالب مُلقِّبًا إياه باليعسوب.

وأنشد على الدمن باكيًا:[74]

بكيتُ بكلتا مقلتيَّ كأنني

متمِّمُ ما قد فات عينَيْ "متمَّمِ"

ويحضر أيضا الصحابي متمم بن نويرة اليربوعي التميمي، الذي كان أخوه مالك سيِّدَ قومه فارتدَّ، فقتله الصحابي خالد بن الوليد، فما زال متمم بعد ذلك يبكي أخاه ويرثيه.

والظاهر أن الشاعر وقف على مرابع الأحبة، فما تمالك دمعه حتى جرى من عينيه معًا، حتى لكأنهما بوبلهما يريدان إتمام ما عجز عنه متمم بن نويرة ذلك الرامز إلى البكاء المستمرّ، ثم ليظرِّف ابن سناء الملك المعنى أتى بالجناس في "متمم"، فجاء التناص التراثي مُمهَّدًا له غير مُتعاظل عليه.

المبحث الرابع: رمزية تناص أعلام الدولة الأموية:

قال في فصاحة الممدوح وكتاباته:[75]

وإذا جرّد اليراعةَ في الكفْ

فِ علمنا أنَّ السيوف غمودُ

حمْدَ "عبد الحميد" قبل لقد أخ

جله بعدك العزيزُالحميدُ

وأنشد:[76]

إنَّ "عبد الحميد" يُحسب إن قي

س إليه من الإماء الوكْعِ

ويقصد الشاعر هنا عبد الحميد بن يحيى العامري، الذي اشتهر بكتاباته الأدبية البليغة حتى سُمِّيَ بعبد الحميد الكاتب، وكان أثيرًا لدى الخليفة محمد بن مروان. جعل في البيتين الأوليين القلمَ أنفذ عزيمةً وأشدَّ ضريبةً من السيف، فلو أشهره الممدوح غابت السيوف في أغمادها لعلمها أنَّه عنها كافٍ وافٍ، فأخجل بذلك عبد الحميد الكاتب الدالّ رمزُه على الكاتب الفصيح.

أما المقام الثاني: فيجعل عبد الحميد -رمز الكاتب الفصيح- دون الممدوح فصاحةً حتى غدا كالأمَة اللئيمة، وأسلوب تصغير الرموز لتعظيم الممدوح مسلوكٌ في لسان العرب، ولكن أسلوب ابن سناء الملك هنا -في البيت الثاني- كان كأنه أدنى إلى التشفِّي والإهانة من عبد الحميد.

قال في الحب:[77]

إن دعوى هواي بعد مشيب الر

رأس عندي كمثل دعوى "زيادِ"

و"زياد" هنا هو زياد بن أبيه، داهية من دهاة العرب، أمُّه سميَّة أمَة الحارث بن كلدة، ألحقه معاوية بوالده أبي سفيان سنة 44هـ.[78]

يمثِّل ابن سناء الملك في ادعائه الهوى هرِمًا كادعاء زياد نسبةً إلى أبي سفيان، وهذا التمثيل للدعوى الكاذبة خارجٌ عن أفق المألوف من التمثيل ببعض الجوامد والموهومات كالطيوف، كما أنَّ مكمن البراعة كلها في التمثيل دون ترجيح، تاركًا للمستمع تقدير صحة دعواه.

قال مشبِّبًا:[79]

كذبوا ما سلوتُ عنك وهل يسْـ

ـلو عن "العامريَّة المجنونُ"

والعامرية هي ليلى بنت مهدي، والمجنون قيس بن الملوح، كلاهما من بني عامر، يُروى أنهما كانا صغيرين يرعيان الغنم معا حتى كبرت ليلى ومُنعت عنه،[80] فما زال قيس يهيم بذكرها حتى سُمِّي المجنون، وقصتهما العذرية مشهورة في التراث العربي الإسلامي.

ينفي ابن سناء الملك أمام محبوبته كلَّ غامزة تزعم سلوَّه عنها، مُسقطًا نفسه في شخصية المجنون الذي غدا رمزًا للحبِّ المخلص كلَّ الإخلاص، لا ينفكُّ عن ذكر محبوبه أبد الدهر، وهذا القياس بصيغة الاستفهام التعجُّبي خصوصًا أضفى إلى زعمه صدْقًا، وأوحى من طرف خفيٍّ إلى الشفقة والرثاء لحاله؛ إذْ شابَه المجنون في عشقه.

وأنشد:[81]

خذ يا "كثيِّر عزة" لك "عزة"

ودع المليحة إنني أولى بها

فتراب قاتلتي يفوح كمسكها

طيبًا وعزَّة مسكُها كترابها

أحبَّ كثير بن عبد الرحمن الخزاعي عزة بن حُمَيْل الضمرية، ولكنه كان حبًّا عفيفا، أذاعته أشعاره.[82] ينادي ابن سناء كثيِّرًا أن يغْنَى بعزة وحده، أما هو فغناؤه بالمليحة، غامزًا جمالَ عزَّة بذلك، إذْ عرَّف بالملاحة سواها كأنه استثناها، وذلك ليبالغ في تمليح مليحته، وزاد على ذلك أن جعل ترابها كمسكها طيبًا، أمَّا عزة كثيِّر -رمزُ المعشوقة الجميلة- فغاية مسكها لا يتعدَّى التراب. (انظر الملحق رقم: 4)

كما أنشد:[83]

أنسى بذكر الحُسن غُرَّة "عزَّةٍ"

قد صار دمعي في هواه "كُثيِّرا"

جعل عَزَّة رمزًا للحسن، ولكن محبوبه تفوَّق عليها حتى أنسى حُسنها، ودموعه في محبوبه كدموع كثيِّر، وهو رمز للباكي المثخن من الهوى، ويحتمل قصده وصف الدمع بالكثرة على صيغة التصغير مراوَغةً بالتورية.

وقال أيضًا:[84]

قضى الله أنَّ العشق يقضي إذا قضى

بقتل نفوسٍ أو بأسر عقولِ

وأنَّ كثيرًا صُنْعُه "بكثيّرٍ"
وغيرُ جميلٍ فعلُه "بجميلِ"

ويحضر "كُثير "هنا أيضا، وجميل بن معمر كان عاشقًا لبثينة بنت حيان، كتب في هواها الكثير من الشعر العذري الرقيق. ورمزية هذا في النص أن ابن سناء الملك يصف هول ما يجرُّه العشق من قتل نفوسٍ ونهب عقول، واستنزاف أرواح، مستعينًا بكثير وجميل وهما رمزان للحبِّ العذريّ، وليسا مجرَّد رمزين عابرين، ولكن كلَّ واحدٍ منهما محمَّل بذخيرة تراثية خاصة، أرخى ابن سناء الملك ظلالها عمومًا، لتذهب الأذهان بعد ذلك في الخيال والتأمُّل كل مذهب.

وكذلك رمَز إليهما بذات الدلالة في قوله واصفًا منظرة:[85]

وصُوِّر في أرجائها كلُّ عاشقٍ
يرى العِشْقَ فرضًا في الكتاب المنزَّلِ

"جميل بُثينٍ" مع "كُثيّر عزَّة"
يصوغان أشعار الهوى والتغزُّلِ

لمَّا كانت المنظرة ساحرة باهرة، تراءت إلى ضمير ابن سناء تصاويرُ الشعراء العذريين، في لوحة فنية بديعة، ومنهم جميل وكثيّر الرامزان إلى الحبِّ العذري، وهما يتآمران على نسج أشعار الهوى، وهذا الاستدعاء التراثي صبغ -بلا شك- صورة المنظرة في خاطر المستمع بحمولةٍ من الذكريات الغزلية للشاعريْن.

وأنشد في الغزل:[86]

ما كان ضرَّكَ لو مننتَ بزورةٍ
فجمعتْ بين الحُسن والإحسانِ
بل كنتَ تنقل "عزَّةً لكثيّرٍ"
في الحبِّ أو "ميّا إلى غيلانِ"

ويضمن الشاعر نصه كثير الخزاعي، وعزة الضمرية، وميًّا أو مية المنقرية أحبَّها الشاعر غيلان بن عقبة العدوي وأكثر فيها التغزل، وهو المعروف بـ"ذي الرمة"، وكان شاعرًا فحلًا، قال عنه أبو عمرو بن العلاء:[87]" فُتِح الشعر بإمرئ القيس وخُتِم بذي الرمة".

ورمزية هذا أن ابن سناء الملك يتعجب من جفاء محبوبه، مُناشِدًا أن يمنَّ عليه بمُنية كل عاشق منذ الأزل وهي الزيارة، فيها يجمع المحبوب محاسن خَلْقه بمحاسن خُلُقه، وبذكْر العشَّاق يستثير ابن سناء الملك جرحًا قديمًا في قلبه، فينسى نفسه مُؤثرًا -إن تعذَّر الوصال- ألا يمنع عزَّة من وصل كثير ولا ميا من غيلان، وهم كلهم رموزٌ للحب الذي شابته القطيعة والمجافاة، وتحت هذا المعنى صيَّر ابن سناء الملك محبوبه ربًّا للهوى متصرّفًا بجميع العشَّاق، وتحت هذا المعنى أيضًا دعوة خفيَّة إلى الشفقة عليه حتى لا يكون ومحبوبَه كسالف العشَّاق.

وأنشد:[88]

بالله قمْ نختلي الصهباء ضاحكةً

وخلِّ "غيْلان" يبكي "ميَّ" في الدِّمَنِ

يدعو محبوبَه ليتشاطرا كؤوس الخمر صفوًا، في ساعة من غفلات الدهر، تاركًا العشَّاق خلفه يبكون محبوباتهم، رامزًا بذلك إلى غيلان وميّ. (انظر الملحق رقم:5).

وأنشد في الأجلِّ الفاضل:[89]

فلا يذكرنْ آلَ المهلَّب ذاكرٌ

فقد جاءهم من يُنسي "المهلَّبا" (انظر الملحق رقم: 6)

والعلم التراثي المقصود هنا هو أبو سعيد المهلب بن ظالم بن سارق العتكي، كان قائدًا فذًّا للأمويين والزبيريين قبلهم، اشتهر بالرئاسة والدهاء وبسطة اليد.

يذكر ابن سناء الملك مواهبَ الأجلِّ العميمة على العفاة، وأنها حقيقةٌ أن يطويَ بعدها الناس صفْحًا ذكر فضائل المهلب الرامز إلى الندى؛ لأن الأجلَّ الفاضل جاوزه ندًى وإن تأخَّر عنه زمنًا.

وقال واصفًا بستانًا:[90]

فكم على الأغصان من مُنشدٍ

بل كم على الأغصان من "مَعْبَدِ"

ومعبد بن وهب من موالي بني مخزوم، ونابغة المغنين في عصره، وعنه قال أبو تمام:[91]

محاسنُ أصناف المغنِّين جمَّةٌ

وما قصَبات السبق إلا لمعبدِ

استعان الشاعر بالعلم التراثي معبد الذي كان رمزًا للصوت الغنائي الرائع، ليحكي الطائر الغَرِد في لحنه العذب، وقد استعاض عن وصف الطائر بالمنشد أولًا ليتحوَّل إلى معبد، دلالةً على زيادة الحُسن والبراعة في الإنشاد، فهذا الطائر ليس كأي طائر، وزيادة تجميله للطائر زيادة تجميلٍ للبستان المقصود في الغرض الأول.

المبحث الخامس: رمزية تناص أعلام الدولة العباسية:

وأنشد غزلًا:[92]

فلو كان في عصرٍ تقادم عهدُه

لأوضح "للمأمون" عيْبَ "عريبِه"

والمأمون هو عبد الله بن هارون الرشيد، أما عريب فهي جارية حسناء، خبيرة الغناء، نادرة أترابها، زعم قومٌ أنَّ جعفر البرمكي تزوَّج أمها سرًّا فولدتها،[93] عاشت عريب في قصور الخلفاء، وافتُتن بها المأمون كلَّ افتتان.

إن عريب هنا رمز للمغنية البارعة الحسناء، التي لا تجد لها عيْبًا، فهي فتنة تخضع لسلطتها السلاطين والخلفاء، ورغم ذلك زعم ابن سناء الملك أنَّه لو تقدَّم عصر محبوبه قليلا فقط لقبَّح جمالُه جمالَ عريب، وفضح غناؤه غناءها، وشغل المأمونَ عنها، وذلك لبالغ جماله ودلاله.

كما أنشد:[94]

ولو أبصر "النظَّام" جوهرَ ثغرها

لما شكَّ فيه أنه الجوهرُ الفرْدُ

ويحضر هنا إبراهيم بن سيار النظَّام، الذي كان ضليعًا بعلم الفلسفة والكلام، وهو رئيس إحدى فِرَق المعتزلة، قال عنه الجاحظ:" الأوائل يقولون في كل ألف سنة رجل لا نظير له فان صح ذلك فأبو إسحاق من أولئك"،[95] وكان النظّام لا يؤمن بالجوهر الفرد أي الجوهر الذي لا يتجزَّأ.

يصف ابن سناء الملك ثغرها وصفًا عجيبًا، فهو ثغر منظَّم بالجواهر-جواهر الحليّ- النفيسة، فلو رآها النظَّامُ إبراهيم وهو رمز لجحود الجوهر الفرد-الجوهر في الفلسفة- لأيقن قطعًا بوجوده، وذلك دلالة لأعجوبة جواهر ثغرها، وانفرادها بلا شبيه من الحِسان، ولم يكتف ابن سناء الملك بالاستدعاء التراثيَّ حتى ورَّى بتورية خادعة لطيفة، فكلمة النظَّام هنا متحمِّلة لمعنى النظَّام صاحب الخرز والنظَّام إبراهيم بن سيار، فجاء البيتُ نهايةً آيةً في الظرافة واللطافة، ورغم شُهرة تشبيه الثنايا بالجواهر وسأم الناس منها إلا أنه ابتدع فلَطَّف، ولم يكن ليتحصَّل ذلك دون التناص.

وأنشد:[96]

بأبي وأمي من يكون "المكتفي"

بجماله لجماله كالمقتدي

ويريد هنا الخليفة المكتفي بالله ابن المعتضد بالله، كان مضرب المثل في الوضاءة والوسامة دُرِّيَ اللون، حسَن اللحية، أسود الشعر،[97] واللون الدُرِّيّ سافر عن النُدرة. ويجعل الشاعر محبوبَه آخر الجمال الذي لا بعد بعده، حتى إنَّ الخليفة المكتفي الرامز إلى الحُسن الفائق، ليتتبع خُطا جماله مقتديًا متعلِّمًا، وجعل كلمة "المقتدي" تورية أيضًا تقف بالمستمع بين الخليفة المقتدي وبين المتصف بالاقتداء، ثم إنَّ ما قوَّى المعنى العام لجمال المحبوب تفديته بأمه وأبيه معًا.

وقال مادحًا:[98]

إن أكن "أشجعًا" فأنت "الرشيد"

أو تكن "جعفرًا" فإني "الوليد"

وقال في الملك الأفضل:99

أيُّ ملكٍ يأتيه أيُّ مديحٍ

إن يكن "جعفرًا" فإني "وليدُه"

والعلم التراثي المراد هنا هو الشاعر أشجع بن عمرو السلمي وكان يمدح الرشيد، وهو الخليفة هارون بن المهدي أبو المأمون كما مرَّ، أما جعفر فهو الخليفة المتوكل والبحتري هو الوليد، وكان البحتري مكثرًا في مدحه.

اتخذ نفسه شاعرًا للممدوح ملازمًا له، فهو كأشجع في رمزيته لشاعر السلطان في حين كان الممدوح مُمثَّلا في هارون الرامز إلى السلطان، ثم يوسع مجال القول رامزًا مرةً أخرى إلى نفسه بالبحتري وإلى الممدوح بالمتوكل، وذلك لتعظيم سلطة الممدوح وبراعة مديحه له، كما أنَّه بيانٌ لمقام الممدوح عنده، وبيان مقامه عند الممدوح، فكأنهما ثالث العدّة بعد الأعلام التراثية المذكورة.

وأرسل يودِّع والده القاضي الرشيد:[100]

فلا تنسني مِن مُجاب الدعا

فإني "وليدك" يا "جعفر"

يسائل والده عند التشييع ألَّا ينساه من الدعاء، ناعتًا دعاءه بالمجاب، للدلالة على صلاح والده، فلا يكون دعاؤه إلا مُجابًا، ثم مثَّل حاله بالبحتري ووالده بجعفر المتوكل، وهما رمزان دالَّان هنا على الألفة والمحبة، ومما طرَّى المعنى بالتناص هذا وملَّحه موافقةُ اسمِ والده اسمَ المتوكل جعفر، وكذلك ابن سناء الملك هو وليد أبيه طبعًا أي ولده، فهذه طُرفة ورَّى بها، راميًا بسهم من اللفظ غرضين من المعنى.

وأنشد:[101]

وكذاك "الصابي" لديك صبيٌّ

بك و"ابن العميد" منك عميدُ

ويستدعي هنا أبا إسحاق إبراهيم الصابي، الذي كان أديبًا شاعرًا عند بني بويه، وابن العميد محمد بن الحسين الكاتب الذي كان أديبًا حذِقًا حتى لُقِّب بالجاحظ الثاني، ولكليهما أشعار ورسائل أدبية سيَّارة.

ويبدو أن ابن سناء الملك انبهر من براعة لفظ وخطِّ ممدوحه، فزعم أنَّ الصابي على أوج بلاغة رسائله صبيٌّ أمام الممدوح، وكذلك ابن العميد أمام الممدوح عميد أي مريض عاجز، وهما رمزان للبلاغة، والذي حلَّى هذا التناص التراثي التجنيس.

وفي والده القاضي الرشيد:[102]

إنْ تسَلْ عنه أو تسلْه إذا جئْـ

ـتَ إليه فهو "الرشيد"و"جعفرْ

تقدمت الإشارة إلى الرشيد المُضمّن في شعر ابن سناء الملك، أما جعفر فهو جعفر بن خالد البرمكي، كان صفيَّ الرشيد ووزيره، اشتهر بالكرم الوافر. ورمزية ذلك في النص أن كلّ من يسأل عن والده فوالده الرشيد دلالةً على للشهرة والجاه، ومن سأل أي طلب حاجةً فهو جعفر البرمكي دلالةً على الندى الجمّ، وهذا استدعاءٌ تراثي يخفي خلفه توريةً أيضًا في "الرشيد" فهو لقب والد ابن سناء الملك ولقب الخليفة هارون، وجعفر اسم والده واسم جعفر البرمكي أيضا.

ولكنه غلَّب والده عليهما في قوله:[103]

ويُنسى "الرشيد" بذكر الرشيد

ويُحقر من جعفرٍ "جعفرُ"

وفي المنظرة قال:[104]

و أنسى بها بين الورى ذكر "جعفرِ الر

رشيد" فأنَّى "جعفر المتوكِّلُ"

يقف ابن سناء الملك مذهولًا أمام منظرةٍ أنستْ روائعُها الناسَ أخبارَ جعفر البرمكي، وعندما كان هذا شأنها فحريٌّ أن تنسيهم أخبار جعفر المتوكِّل، وهو دون البرمكي عجائبًا وشهرة وإن كان خليفة.

قال مادحًا القاضي الفاضل:[105]

بايعته يدُ السعادة والبيـ

ـعة قد كُرِّرت عليها اليمينُ

واصطفاه الرأي الرشيد على العا

لم فهو "الأمين والمأمونُ"

جاء بيان حضور المأمون في شعر ابن سناء الملك، أما الأمين فهو أخوه محمد بن هارون الرشيد، تولَّى الخلافة بعد عهد والده له وللمأمون بعده، ولكنهما تحاربا فقتل المأمونُ الأمين، وكان الأمين ماجنًا لاهيًا.

يصف ابن سناء الملك القاضي الفاضل أنْ بايعته يد السعادة والخير بيعةً أعقبتها بيعة أخرى توكيدًا لها وتوثيقًا، كما أنَّ الله انتقاه دون البريَّة فكان الأمين والمأمون وهما رمزان للبيعة المؤكدة المشهود عليها، ولكن ابن سناء الملك لم يُحسن إعمال هذا التناص التراثي في هذا السياق المعنوي، حيث أشار توريةً بالله عز وجل إلى هارون الرشيد في "الرأي الرشيد" ثم لم يكتف بذلك مخفيًّا حتى جلَّاه في "الأمين والمأمون"، ناهيك عما يستصحبان تاريخيًا من طالعٍ سيّءٍ نجم عنه قتالهما، ولو استعاض عنهما رمزًا أدلَّ على الألفة الوفاق لكان أصوب.

وقال في الخمر:[106]

لم يدع شربَها "الأمين" وإن كا

ن إمام الهدى ولا "المأمون"

جعل ابن سناء الملك في هذا المقام الأمين والمأمون رمزين للأسوة التشريعية، والمكانة الإسلامية، فهو يبيح الشراب مستدلًّا بهما، وقد أحسن إذْ قدَّم الأمين وأخَّر المأمون، فالأمين أسرف شربا، وأترف نفسًا، وأشهر لهوًا، أما المأمون فهو الأوفر عقلًا كما روت كتب التاريخ، والعرب تستحسن الابتداء من الأدنى إلى الأعلى.

وفي الغزل قال:[107]

قل "لإبن المعتزّ" يرحمك الل

له ولا قُدَّ من أديمكَ شِبْرُ

إن تكن عذَّبتك بالحُسن "شرٌّ"

إن محبوبتي وحقّكَ خيْرُ

تناص العلم التراثي: عبد الله بن المعتز، خليفة يوم وليلة، كان شاعرًا أديبًا ذوَّاقة، أحبَّ جاريةً اسمها شُرّ، فأكثر ذكرها، كقوله:[108]

عجبتْ شُريرةُ إذْ رأتني شاحبًا

يا شُرُّقد قُلِبَ الزمانُ وحالا

جعل ابنُ سناء الملك ابنَ المعتز هنا رمزًا للشاعر العاشق الذي يتعذَّب في حُبِّ جاريته شُرّ، الرامزة إلى الحبيبة المعذِّبة، ولا يغفل ابن سناء الملك عن تدعيم مرامي هذا التناص، فيترحَّم إشفاقًا على ابن المعتزّ ويدعو له، وهو مطمئنٌ بعطْف محبوبته، التي تكاد

تقابل اسمَ محبوبة ابن المعتز ظاهرًا (خير: شُر)، لتقابلهما باطنًا (ترْحَم: تعذِّب) (تصل: تقطع)، وما كان ابن سناء الملك ليستطيع أن يُقيم هذه المقابلة إلَّا باستدعاء الأعلام التراثية ودلالاتها ثمَّ زيادتها تحديدًا وتعزيزًا.

خاتمة:

الملاحظ أنَّ ابن سناء الملك كان مكثرًا جدًا من استدعاءات الأعلام التراثية، ولكنه كان متميِّزًا بالتنويع في عصورها، والمغايرة في دلالاتها، وإن تكررت كيوسف ويعقوب وكان لمصر عنده شأن خاص، وهذا برهان على براعة التصرُّف بأزمَّة المعاني، كما أنَّ رموزها التراثية لم تكن بالنائية عن الأذهان، ولا النابية عن الآذان، وإنما جلُّها أعلام شهيرة واضحة غير غامضة حتى يومنا هذا على أسماع الأدباء، وقليلها يُدرك بالاطلاع الجديد، وهذا يُنبئ عن ثقافة ابن سناء الملك الواسعة الجامعة، فطورًا يأتي تناصُّه بعلَمٍ خليفة، وطورًا بوزير، وطورًا براوية حديثٍ كقتادة، وطورًا بشاعر عاشق وغير عاشق، وطورًا بطبيب، وطورًا بفيلسوف، ولا أحسبُ جهلَ أدباء عصره بهم، وبذلك لم يكن تناص ابن سناء الملك للتفنن الثقافي أو التأريخ أو الالتصاق بالقديم فقط- وإن كان هذا الآخِر واقعًا مَظنونٌ فالتماسُ مع التراث الفخْم يُفخِّم- وإنما لمرامٍ معنويَّة لا تتأتَّى إصابتها، ولا تُلتمسُ لذاذتُها إلا بذلك، وهي أنْ أصَّل بتناص الأعلام التراثية غرضَه الشعري، ثم ذيَّله بحمولات الأعلام الخفيَّة، كما ظرَّفه بالنكت البلاغية الملائمة كالتورية والتعمية، فكان وقع التناص أمضى خبرًا وأبقى أثرا لدى المتلقِّي، ومن المُلحوظ نهايةً أنَّ ابن سناء الملك كان يُكثر في تناص الأعلام التراثية من المقارنات والمقابلات حتى يعضد غرضَه المعنوي.

ملحقات:

الملحق رقم:1

قوله: نظمًا لبيتٍ ولو أني"لبيدْ"، تُنطق "ولو انِّي لبيد" تسهيلًا.

الملحق رقم:2

قوله: ولو رآى ابن أبي سلمى مواهبَه، جاء ابن أبي سلمى علمًا تراثيا، ولكنه دون رمزية معيَّنة في هذا المقام.

الملحق رقم:3

قوله: مَلِكٌ اسمه عليٌّ ولكن. لفظة "اسمه" هكذا وردت بهمزة الوصل، لكنها تُنطق قطعًا "إسمه"؛ حفظًا للوزن الشعريّ.

الملحق رقم: 4

لعلَّ زعمه هذا تلميحٌ إلى قصة سكينة بنت الحسين لمَّا ازدرت طيب عزَّة في قول كثير:

فما روضة بالحزم طيبة الثرى
يمج الندى جثجاثُها وعرارُها
بأطيب من أطياب عزة موهناً
إذا أوقدت بالمندل الرطب نارها

الملحق رقم:5

وكذلك فعل أبو تمام لما قال:

ما ربع مية معمورًا يطوف به
غيلانُ أبهى ربى من ربعها الخَرِبِ

الملحق رقم: 6

هكذا جاء في الطبعة، ولا يخفى الكسر الوزني في الشطر الثاني، وقد أتبعه المعلِّق "فقد جاءهم من راح يُنسي المهلبا".

الملحق رقم: 7 جدول: الأعلام التراثية المدروسة في شعر ابن سناء الملك وملاحظات إحصائية.

مرات الاستدعاء	الغرض الشعري	الحقل	العصر	العلم التراثي
أولاً: أعلام الأنبياء والأمم السابقة				
3	غزل، مدح، إخوانيات	ديني	أنبياء وأمم سابقة	إبراهيم (الخليل)
1	مدح	ديني	أنبياء وأمم سابقة	إلياس والخضر
3	مدح، رثاء	ديني	أنبياء وأمم سابقة	آدم وحواء

1	مدح	ديني	أنبياء وأمم سابقة	داود وسليمان
1	تهنئة	ديني	أنبياء وأمم سابقة	مؤمن آل فرعون
7	مدح، غزل، تهنئة	ديني	أنبياء وأمم سابقة	يوسف ويعقوب
4	مدح، دعاء	ديني	أنبياء وأمم سابقة	عيسى (المسيح / ابن مريم)
3	مدح، إخوانيات، دعاء	ديني	أنبياء وأمم سابقة	موسى (الكليم)
1	مدح	علمي	أنبياء وأمم سابقة	جالينوس
ثانياً: أعلام العصر الجاهلي				
1	غزل	شعري	جاهلي	أم جندب وامرؤ القيس
1	إخوانيات	شعري	جاهلي	لبيد بن ربيعة
3	غزل	شعري	جاهلي	عنترة وعبلة
1	مدح	خطابي	جاهلي	قسّ بن ساعدة
2	مدح، غزل	تاريخي	جاهلي	هرم بن سنان
1	غزل	تاريخي	جاهلي	كعب بن مامة
1	وصف	تاريخي	جاهلي	حاتم الطائي
1	وصف	تاريخي	جاهلي	السموأل
ثالثاً: أعلام صدر الإسلام				
1	غزل	تاريخي	صدر الإسلام	أشعب بن جبير
1	رثاء	ديني	صدر الإسلام	قتادة السدوسي
1	مدح	تاريخي	صدر الإسلام	عمرو بن العاص
1	إخوانيات	تاريخي	صدر الإسلام	عيينة بن حصن والأقرع

1	غزل	ديني	صدر الإسلام	أبو ذر وأبو جهل
1	مدح	ديني	صدر الإسلام	علي بن أبي طالب
1	غزل	شعري	صدر الإسلام	متمم بن نويرة
رابعاً: أعلام العصر الأموي				
2	غزل	شعري	أموي	ليلى والمجنون
3	غزل	شعري	أموي	كثير وعزة
1	غزل	شعري	أموي	جميل وبثينة
1	غزل	شعري	أموي	ذو الرمة وميَّا
1	مدح	تاريخي	أموي	المهلب بن أبي صفرة
1	مدح	أدبي	أموي	عبد الحميد الكاتب
1	غزل	تاريخي	أموي	زياد بن أبيه
خامساً: أعلام العصر العباسي				
1	مدح	فني	عباسي	معبد المغني
2	مدح، وصف	تاريخي	عباسي	المأمون وعريب
1	مدح	فكري	عباسي	النظّام
1	غزل	تاريخي	عباسي	المكتفي بالله
2	مدح، وصف	تاريخي	عباسي	الرشيد وجعفر البرمكي
1	مدح	أدبي	عباسي	الصابي وابن العميد
1	وصف	تاريخي	عباسي	الأمين والمأمون
1	غزل	شعري	عباسي	ابن المعتز

بلغ مجموع الأعلام التراثية المدروسة 39 علمًا، استُدعيت كلها في 62 موضعًا شعريًا من المواضع المختارة للدراسة. وتصدَّرت أعلام الأنبياء والأمم السابقة سائر الأقسام في 24 استدعاءً، مما يكشف أن المرجعية الأولى لابن سناء الملك كانت الموروث الديني لا الشعري، ومن الملحوظ من هذه الأعلام المتصدِّرة تصدُّرَ النبيين يوسف ويعقوب المتِّصلين بمصر على

بقية الأعلام في سبعة مواضع، وليس ذلك مصادفةً؛ إذ يتعاور في هذا التكرار ثلاثة عوامل: فمصر محور الديوان، ومصر محور قصة يوسف، ومصر محل إقامة الشاعر وممدوحه القاضي الفاضل، وقبلهما الأمير صلاح الدين المُسمَّى يوسف أيضًا، مما جعل هذين العلمين التراثيين أداةً متعددة الاستعمال في يد ابن سناء الملك، أما الأغراض الشعرية فالملحوظ غلبةُ غرض المدح ثم الغزل، وهذا ملائم لكثافة تقسيم هذين الغرضين في ديوانه.

الهوامش والإحالات:

1- بني شمسة، زياد محمد أسعد، "التلاحم النصي والتاريخي في شعر ابن سناء الملك مع النصوص الحماسية العباسية"، مجلة المجمع، المجلد التاسع، 2015، ص 29-52.

2- حسن، رشدي علي، "التعالق النصي في ديوان ابن سناء الملك: دراسة في الاقتباس القرآني والاستدعاء الشعري"، مجلة كلية دار العلوم، د.م، 2013، ص265-299.

3- ابن سناء الملك، هبة الله، فصوص الفصول وعقود العقول، تحقيق: محمد محمد عبد الجواد، القاهرة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، 2005، ص332.

4- الذهبي، شمس الدين، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط3، 1985، ج21، ص48.

5- ابن سناء الملك، هبة الله، فصوص الفصول وعقود العقول، تحقيق: محمد محمد عبد الجواد، القاهرة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، 2005، ص323.

6- ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، القاهرة، دار المعارف، ط2، 1990، ج7، ص204.

7- ابن سناء الملك، هبة الله: فصوص الفصول وعقود العقول، تحقيق: محمد محمد عبد الجواد، القاهرة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، 2005، ص389.

8- مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، القاهرة، دار الدعوة، ط2، 1972، ج1، ص926.

9- السعدني، مصطفى، التناص الشعري قضية قراءة أخرى لقضية السرقات، الإسكندرية، منشأة المعارف، د.ط، 1991، ص77-78.

10-عباسي، محمد زبير، التناص مفهومه وخطر تطبيقه على القرآن، إسلام آباد، الجامعة الإسلامية العالمية، د.ط، 2014، صـ د.

11-العسكري، أبو هلال: الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار الفكر العربي، ط2، د.ت، ص202.

12- سورة البقرة: 233.

13- سورة النمل: 16.

14-ابن منظور، محمد، لسان العرب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1995، ج15، ص266.

15- الفرزدق، همام، ديوان الفرزدق، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1987، ص94-95.

16- ابن منظور، محمد، لسان العرب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1995، ج5، ص312.

17- سورة آل عمران: 41.

18-ابن سناء الملك، هبة الله، ديوان ابن سناء الملك، القاهرة، دار المعارف، ط2، 2003، ص86.

19- سورة النساء: 125.

20- ابن سناء الملك، هبة الله، ديوان ابن سناء الملك، القاهرة، دار المعارف، ط2، 2003، ص289.

21- السابق نفسه، ص144.

22- ابن منظور، محمد، لسان العرب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1995، ج2، ص242.

23- المتنبي، أحمد، ديوان المتنبي، بيروت، دار صادر، ط2، 2008، ص250.

24-ابن سناء الملك، هبة الله، ديوان ابن سناء الملك، القاهرة، دار المعارف، ط2، 2003، ص103.

25- السابق نفسه، ص494.

26-السابق نفسه، ص103.

27- السابق نفسه، ص161.

28- سورة غافر: 28.

29-ابن سناء الملك، هبة الله: ديوان ابن سناء الملك، القاهرة، دار المعارف، ط2، 2003، ص161.

30- السابق نفسه، ص201.

31- شمس الدين، يوسف، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، دمشق، دار الرسالة العالمية، ط1، 2013، ج8، ص312.

32- ابن سناء الملك، هبة الله، ديوان ابن سناء الملك، القاهرة، دار المعارف، ط2، 2003، ص324.

33- السابق نفسه، ص273.

34- السابق نفسه، ص417.

35- السابق نفسه، ص417.

36- السابق نفسه، ص454.

37- السابق نفسه، ص296.

38- عطية، أحمد عبد الحليم، جالينوس في الفكر القديم والمعاصر، القاهرة، دار قباء، د.ط، 1999، ص13.

39- ابن سناء الملك، هبة الله، ديوان ابن سناء الملك، القاهرة، دار المعارف، ط2، 2003، ص307.

40- سورة النمل: 12.

41- ابن سناء الملك، هبة الله، ديوان ابن سناء الملك، القاهرة، دار المعارف، ط2، 2003، ص592.

42- السابق نفسه، ص584.

43- السابق نفسه، ص14.

44- ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 2001، ص220.

45- ابن سناء الملك، هبة الله، ديوان ابن سناء الملك، القاهرة، دار المعارف، ط2، 2003، ص67.

46- الذهبي، شمس الدين، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط3، 1985، ج5، ص23.

47- الشافعي، محمد بن إدريس، ديوان الإمام الشافعي، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ط2، 1985، ص73.

48- ابن سناء الملك، هبة الله، ديوان ابن سناء الملك، القاهرة، دار المعارف، ط2، 2003، ص185.

49- السابق نفسه، ص233.

50- السابق نفسه، ص389.

51- السابق نفسه، ص402.

52- السابق نفسه، ص197.

53- الزركلي، خير الدين، الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط15، 2002، ج5، ص196.

54- الميداني، محمد، مجمع الأمثال، مشهد، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للآستانة الرضوية المقدسة، د.ط، 1987، ج1، ص117.

55- ابن سناء الملك، هبة الله، ديوان ابن سناء الملك، القاهرة، دار المعارف، ط2، 2003، ص275.

56- الميداني، محمد، مجمع الأمثال، مشهد، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للآستانة الرضوية المقدسة، د.ط، 1987، ج1، ص197.

57- ابن سناء الملك، هبة الله، ديوان ابن سناء الملك، القاهرة، دار المعارف، ط2، 2003، ص447.

58- المبرد، محمد، الكامل في اللغة، بيروت، المكتبة العصرية، ط1، 2008، ص177.

59- ابن سناء الملك، هبة الله، ديوان ابن سناء الملك، القاهرة، دار المعارف، ط2، 2003، ص571.

60- الزركلي، خير الدين، الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط15، 2002، ج2، ص151.

61- السابق نفسه، ج1، ص140.

62- ابن سناء الملك، هبة الله، ديوان ابن سناء الملك، القاهرة، دار المعارف، ط2، 2003، ص14.

63- الزركلي، خير الدين، الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط15، 2002، ج1، ص332.

64- ابن سناء الملك، هبة الله، ديوان ابن سناء الملك، القاهرة، دار المعارف، ط2، 2003، ص106.

65- السابق نفسه، ص163.

66- ابن الأثير، عز الدين، الكامل في التاريخ، بيروت، شركة الأعلمي للمطبوعات، د.ط، 2011، ج1، ص412.

67- ابن سناء الملك، هبة الله، ديوان ابن سناء الملك، القاهرة، دار المعارف، ط2، 2003، ص182.

68- النووي، محيي الدين، صحيح مسلم بشرح النووي، القاهرة، دار ابن الجوزي، ط1، 2011، ج4، ص141.

69- ابن سناء الملك، هبة الله، ديوان ابن سناء الملك، القاهرة، دار المعارف، ط2، 2003، ص221.

70- السابق نفسه، ص316.

71- السابق نفسه، ص232.

72- الذهبي، شمس الدين، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، بيروت، دار الكتاب العربي، ط2، 1990، ج46، ص391.

73- ابن منظور، محمد، لسان العرب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1995، ج9، ص198.

74- ابن سناء الملك، هبة الله، ديوان ابن سناء الملك، القاهرة، دار المعارف، ط2، 2003، ص282.

75- السابق نفسه، ص85.

76- السابق نفسه، ص194.

77- السابق نفسه، ص101.

78- الزركلي، خير الدين، الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط15، 2002، ج3، ص53.

79- ابن سناء الملك، هبة الله، ديوان ابن سناء الملك، القاهرة، دار المعارف، ط2، 2003، ص333.

80-الزركلي، خير الدين، الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط15، 2002، ج5، ص249.

81- ابن سناء الملك، هبة الله، ديوان ابن سناء الملك، القاهرة، دار المعارف، ط2، 2003، ص22.

82- الزركلي، خير الدين، الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط15، 2002، ج5، ص219.

83- ابن سناء الملك، هبة الله، ديوان ابن سناء الملك، القاهرة، دار المعارف، ط2، 2003، ص389.

84- السابق نفسه، ص438.

85- السابق نفسه، ص572.

86- السابق نفسه، ص336.

87- الزركلي، خير الدين، الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط15، 2002، ج15، ص124.

88- ابن سناء الملك، هبة الله، ديوان ابن سناء الملك، القاهرة، دار المعارف، ط2، 2003، ص354.

89- السابق نفسه، ص540.

90- السابق نفسه، ص71.

91- ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، بيروت، المكتبة العصرية، د.ط، 2022، ج2، ص352.

92- ابن سناء الملك، هبة الله، ديوان ابن سناء الملك، القاهرة، دار المعارف، ط2، 2003، ص39.

93- الصفدي، صلاح الدين خليل، الوافي بالوفيات، بيروت، دار إحياء التراث، ط1، 2000، ج19، ص364.

94- ابن سناء الملك، هبة الله، ديوان ابن سناء الملك، القاهرة، دار المعارف، ط2، 2003، ص72.

95- الزركلي، خير الدين، الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط15، 2002، ج1، ص43.

96- ابن سناء الملك، هبة الله، ديوان ابن سناء الملك، القاهرة، دار المعارف، ط2، 2003، ص77.

97- الصفدي، صلاح الدين خليل، الوافي بالوفيات، بيروت، دار إحياء التراث، ط1، 2000، ج20، ص18.

98- ابن سناء الملك، هبة الله، ديوان ابن سناء الملك، القاهرة، دار المعارف، ط2، 2003، ص83.

99- السابق نفسه، ص105.

100- السابق نفسه، ص141.

101- السابق نفسه، ص85.

102- السابق نفسه، ص147.

103- السابق نفسه، ص140.

104-السابق نفسه، ص581.

105- السابق نفسه، ص334.

106-السابق نفسه، ص575.

107-السابق نفسه، ص407.

108-ابن المعتز، عبد الله: ديوان ابن المعتز، بيروت، دار صادر، د.ط، 2009، ص377.